

بحار الأنوار

[82] تأمل يا مفضل ما أنعم الله تقدرت أسماؤه به على الانسان من هذا النطق الذي

يعبر به عما في ضميره، وما يخطر بقلبه، ونتيجة فكره، وبه يفهم عن غيره ما في نفسه، ولولا ذلك كان بمنزلة البهائم المهملة التي لا تخبر عن نفسها بشئ، ولا تفهم عن مخبر شيئا، وكذلك الكتابة التي بها تقيد أخبار الماضين للباقيين، وأخبار الباقيين للآتين، وبها تخلص الكتب في العلوم والآداب وغيرها، وبها يحفظ الانسان ذكر ما يجري بينه وبين غيره من المعاملات والحساب، ولولاها لانقطع أخبار بعض الأزمنة عن بعض، وأخبار الغائبين عن أوطانهم، ودرست العلوم، (1) وضاعت الآداب، وعظم ما يدخل على الناس من الخلل في أمورهم ومعاملاتهم، وما يحتاجون إلى النظر فيه من أمر دينهم، وما روي لهم مما لا يسعهم جهله، ولعلك تظن أنها مما يخلص إليه بالحيلة والفتنة، وليست مما أعطيه الانسان من خلقه وطباعه، وكذلك الكلام إنما هو شئ يصطلح عليه. الناس فيجرب بينهم، ولهذا صار يختلف في الامم المختلفة باللسن مختلفة، وكذلك الكتابة ككتابة العربي والسرياني والعبراني والرومي وغيرها من سائر الكتابة التي هي متفرقة في الامم، إنما اصطالحوا عليها كما اصطالحوا على الكلام، فيقال لمن ادعى ذلك: إن الانسان وان كان له في الامرين جميعا فعل أو حيلة فإن الشئ الذي يبلغ به ذلك الفعل والحيلة عطية وهبة من الله عزوجل في خلقه (2) فإنه لو لم يكن له لسان مهيو للكلام وذهن يهتدي به للامور لم يكن ليتكلم أبدا، ولو لم يكن له كف مهياة وأصابع للكتابة لم يكن ليكتب أبدا، واعتبر ذلك من البهائم التي لا كلام لها ولا كتابة، فأصل ذلك فطرة الباري عزوجل وما تفضل به على خلقه، فمن شكر اثنى ومن كفر فإن الله غني عن العالمين. بيان: كلامه ههنا مشعر بأن واضع اللغات البسر فتدبر. (3) ذكر يا مفضل (4) فيما أعطي الانسان علمه وما منع فإنه أعطي علم جميع ما فيه

(1) أي ذهب أثرها وانمحى. (2) وفي نسخة: في

خلقه. (3) وأهم منه دلالة على كون الاوضاع تعيينية لا تعيينية، وكذا إشعاره بأن هذه

وأمثالها اصطلاحات واعتبارات تضطر إليها البشر. ط (4) وفي نسخة فكر يا مفضل.